نسق الإيهام النقدي: التبذير اللغوي في النقد الأدبي أنموذجاً

نقد ثقافي

أ.م. د. حسين علي جبار القاصد

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

تاريخ الطلب: ١/ ١٠/ ٢٠٢٢

تاريخ القبول: ٧/ ١١/ ٢٠٢٢

الملخص:

من المتوقع ومن الطبيعي جداً أن نجد تبذيراً لغوياً لدى المبدع، شاعراً كان أم سارداً؛ وغالباً ما يطلب النقاد من مبدعي الأدب شيئا من الاقتصاد اللغوي؛ لكن أن يتحول النقد الأدبي إلى قطعة إنشائية مليئة بالخواطر والانطباعات الفورية، من دون رصانة أو وعي، فهذا أمر يستحق الوقوف عنده ومناقشته.

لعل مقولة (إن الناقد شاعر فاشل) تجد نصيباً من التأكيد في بعض الكتابات النقدية؛ ذلك لأن بعض النقاد ليس لهم سوى التبذير اللغوي، ورصف المصطلحات الوافدة من الغرب، والإستشهاد بما قاله النقاد الغربيون، ليعزز من يدعي النقد دراسته بأسماء مشهورة ومصطلحات وكلام ملغز، أو حتى كلام سطحي، ثم يتكئ على شهرته التي منحتها له منابر المؤسسات الإعلامية، ليستغفل القراء ويسوّق أفكاره، أو أفكار المؤسسة الراعية له.

وأقول: يسوّق أفكاره، حين يكون النقد لديه بدافع الشهرة، أما أفكار المؤسسة الراعية له، فقد تناول البحث النقاد الذين يعملون بأوامر سياسية وسلطوية ليوجهوا المنجز الأدبي توجيها سياسيا يتناغم مع خطاب السلطة، لكي يكون حديث الشارع هو حديث السلطة نفسه.

تناول البحث تجارب نقدية، منها لأسماء نقدية كبيرة، منهم من جرب حظه مؤقتا ثم اندثر اسمه مع اندثار الحادثة أو الحقبة التي فرضت حضوره.

وكان للبحث أن يناقش نسق الإيهام النقدي وعبثية التبذير اللغوي، ووقف، أيضاً، عند نقاد المسابقات، والنقد التجاري الارتجالي، وهو نقد انطباعي من دون أي منهج نقدي، غايته إرضاء الجهة الراعية، التي تنفق المال على الناقد المحكّم.

وها أنا أضع ما اجتهدت في كتابته، وأظنها تجربة غير مسبوقة، ومنطقة لم يدخلها النقد الثقافي، فإن أصبت فبها ونعمت، وإن أخفقت فيكفيني شرف المحاولة.

والله ولي التوفيق

Abstract:

It is expected and quite natural that we find a linguistic waste of the creator, whether a poet or a narrator; Often critics ask the creators of literature for something from linguistic economics. But for literary criticism to turn into a constructive piece full of thoughts and immediate impressions, without sobriety or awareness, this is something worth standing up for and discussing.

Perhaps the saying (that the critic is a failed poet) finds a bit of emphasis in some critical writings; This is because some critics have nothing but language profligacy, and the dressing up of terms coming from the West, and quoting what Western critics have said, so that those who claim to be critical can study it with famous names and terms and enigmatic words, or even superficial words, and then lean on its fame, which has been given to it by the pulpits of media institutions, in order to fool the readers and market its ideas, or the ideas of its sponsor.

I say: When criticism is motivated by fame, it is the ideas of the institution that sponsors it. The research sought to address critics who work for political and authoritarian orders to direct the literary work to a political orientation that is compatible with the discourse of power, so that the talk of the street is the talk of the authority itself.

The research tackled some critical aspects, including some of the big names in cash. Some of them experienced their luck temporarily and then their name disappeared when the incident or period that forced their presence disappeared.

The paper was able to discuss the pattern of critical delusion and the futility of language profligacy, and also to stop, when there are competition

critics, improvising commercial criticism, which is an impressionistic criticism without any monetary approach, with the aim of pleasing the sponsor, who spends money on the tight critic.

Here I am putting what I have worked hard to write, and I think it is an unprecedented experience and an area that cultural criticism has not entered into, if I fall into it and get blessed, and if I fail, I will have the honor of trying.

God be with me

المقدمة:

حين تغيب الشروط العلمية، والمعايير النقدية؛ بل حين يغيب المنهج النقدي، تكون الأبواب مفتوحة للتبذير اللغوي، فيسهل الدخول إلى عالم النقد الأدبي برصف الكلمات والمصطلحات الأجنبية؛ وغالبا ما يكون هذا الاستسهال في الدخول لعالم النقد مدعوماً ليجد طريقه الى القارئ؛ فيقوم الذي يدعي النقد بدافع البقاء في دائرة الضوء بالاتكاء على اسمه، فتتلقفه الصحف والمجلات ودور النشر .

خاض هذا البحث في إشكالية إيهام القارئ والتبذير اللغوي، فبعد توطئة تشرح ملابسات هذه الظاهرة، جاء المبحث الأول ليتصفح نسق الإيهام بدافع الشهرة، بينما تفرغ المبحث الثاني الى النقد الموجه سياسيا أو سلطوياً، وهو نقد مدعوم من السلطة وكل أبواب الانتشار مفتوحة له؛ فيما وقف المبحث الثالث عند ظاهرة النقد المرتجل والنقد التجاري، حيث يطرح الناقد رأيه مقابل أجر يتقاضاه من الجهة الراعية له، واتخذ الباحث من مسابقة أمير الشعراء أنموذجاً ليكشف نسق الإيهام في النقد الأدبي.

نسق الإيهام من الأنساق الثقافية المضمرة ، حيث يكون الظاهر مقنعاً للقارئ، والمخبوء/ المضمر يرضي الجهة الراعية، وهو بالنتيجة يرضي صاحب الإيهام لأنه سيغدق عليه من الأموال ما تغنيه، فضلا عن توفير كل أسباب الشهرة .

الأنساق الثقافية في الشعر وأجناس الأدب الاخرى درست كثيرا ومازالت تدرس؛ لذا ارتأيت أن أبحث عمن يساند الشاعر في تسويق نسق الإيهام، فالشاعر يوهم القارئ ويجبب له أمراً ما؛ والناقد يعزز هذا الوهم ليجعله أقرب للحقيقة، وبذلك يتم التدجين الثقافي.

توطئة:

لعل من أهم اشتراطات النقد الأدبي هو الاقتصاد اللغوي، وعدم الميل للتبذير والزيادات اللفظية؛ فضلاً عن كونه ممارسة واعية، يقوم بها فاحص متمكن من أدواته، ومستند إلى مرجعيات رصينة، تجعل رأيه نافعاً ومقنعاً في آن واحد؛ ذلك لأن (الأحكام النقدية تقوم على قاعدة فلسفية، أشمل وأعم منها، ولا يتاح تعليل تلك الأحكام إلا بإرجاعها إلى القاعدة الفلسفية التي تقوم عليها) [1] واذا كانت هذه الأحكام سائرة على هذا النحو في العصر العباسي، فإن من المفترض بل الواجب على الناقد المعاصر الذي غرف من كل التجارب العربية والأجنبية، لا يمارس التبذير اللغوي، والكتابة لأجل الانتهاء من الكتابة.

لكن، للقارئ أن يتساءل أن لماذا يلجأ الناقد، لا سيما المتمكن الذي صار اسماً لامعاً في سماء النقد الأدبي العربي، ويجيبنا على هذا التساؤل "النقد الثقافي" فمثلما طارد النقد الثقافي المبدعين ملاحقاً المضمر في نصوصهم، هناك مضمر صارخ لدى بعض المبذرين لغوياً في النقد الأدبي؛ فالنقد الأدبي لم يعد قالباً جاهزاً يعتمد الاقتباسات الأجنبية ويسوغ ما يريد وفقها، أو حتى العربية منها؛ كما أنه، أي النقد، لم يعد رصفاً للمصطلحات الوافدة للعرب من الغرب، وليس له أن يكون كذلك.

يلجأ بعض النقدة لنسق الاتكاء على أسمائهم التي رسخت وشاعت، وهو نسق إيهامي نافع لهم، به يتمكنون من القارئ؛ لأن القارئ يتردد ويحسب ألف حساب قبل أن يسجل اعتراضاً على اسم لناقد صار يسبقه لقب "الناقد الكبير"؛ لكن النقد الثقافي يمتلك شجاعة الحفر والتشريح الثقافي والخوض في الدوافع والمضمرات في المنجز النقدي الذي يطرح الناقد.

يتضح الإيهام النقدي جلياً، حين يطابق المتلقي كلام الناقد والمنقود، فتارةً يقوم الناقد بكيل عبارات المديح الإنشائية، وكأنه بصدد خطبة عصماء، وأخرى يقوم فيها الناقد بليّ عنق النص المنقود وتوجيهه لما يريده الناقد لا ما يريده مبدع النص الأدبي، وفي الأغلب، لاسيما لدى نقاد المؤسسة الحكومية، يقوم الناقد بالتبرع بالنص لخدمة السلطة، فيترك صاحب النص وينشغل بمدح السلطة ليوجه المتلقي لأهمية ودور ومنجزات السلطة، تاركا النص الأدبي ومبدعه.

وهناك نوع من الإيهام النقدي والتبذير اللغوي نستطيع تسميته بالنقد التجاري، وهو نقد مقابل ثمن؛ وبين الفقير للشهرة التي قد تتلاشى وتضيع من يديه، وبين الفقير للسلطة الذي يريد أن يبقى ناقداَ موظفاً حكومياً، وبين الناقد التجاري الذي يعمل مقابل أجر!! شاع نسق الإيهام النقدي.

١.نسق الإيهام بدافع الشهرة

يعترض الناقد فاضل ثامر على بعض التجارب النقدية الشابة، ويقول: (الأدباء الشباب الذين يمارسون كتابة النقد هذه الأيام يكيلون المديح لنصوص قصصية أو شعرية غاية في الرداءة والضعف، وكأنهم فقدوا القدرة على التمييز بين الرديء والجيد وغالباً ما يمهد أمثال هؤلاء النقاد بمقدمات نظرية واقتباسات من نقاد عالميين لا علاقة لها من بعيد أو قريب بالنصوص التي يدرسونها ... ونراهم يهربون إلى جوانب جزئية وصغيرة مثل الوقوف أمام الصورة الشعرية أو الانزياحات الأسلوبية أو تعدد الأصوات أو البنية الإيقاعية والموسيقية بمعزل عن كلية النص)[2]؛ واذا دققنا النظر في الجوانب الجزئية الصغيرة التي عابها الناقد فاضل ثامر على الذين ينتقدهم، نجدها تمثل النسبة الأكبر في (الكلية) المزعومة للنص؛ ولعل (كلية النص) جاءت من متطلبات التبذير اللغوي، وإلا فإن ماعدا التي يعابها السيد فاضل ثامر على النقاد يمثل جزئية قليلة من جزئية النص في المنظور النقدي.

والسيد فاضل ثامر يعد من أهم الأسماء النقدية العربية، إلا أن نوعاً من العجلة، وشيئا الإصرار على الخوض في ما هو بعيد عنه، أوقعه في مآزق جمة، منها ما هو علمي وتنظيري محاولا فيه ليّ عنق النص ليخدم مبتغاه، ومنها ما هو لغوي، وهذا كثير جدا لديه، ومن أمثلته قوله (بعض الناس يفترض، مجرد افتراض، أن لكل شخص عدو رئيسي {كذا} وربما عدد من الأعداء) [3] ، وهنا، تحديداً، خدعه تقدم خبر "إن" على اسمها ، فجاء بكلمة (عدو) مرفوعة، وهي التي حقها النصب كونها اسماً لـ (إن)، فإن قلت لي ربما كان هذا من أخطاء الطباعة، أقول: إن كلمة (رئيسي) تؤكد أن التبذير اللغوي شغل السيد فاضل ثامر عن اللغة ونحوها، فكلمة (رئيسي) لا مكان للياء فيها، فضلاً عن أنها حقها النصب إلحاقاً بموصوفها، فتكون الجملة (إن لكل لشخص عدواً رئيساً...) أو حتى (رئيسياً) تماشياً مع ما هو شائع في إضافة الياء؛ لكن شرط عدم إهمال الإستحقاق النحوي.

وفي كتابه "رهانات شعراء الحداثة" يضع السيد فاضل ثامر نفسه في محل من انتقدهم لاهتمامهم بالأسلوبية والانزياحات والبنية الإيقاعية؛ فهو إذ يتناول شيئاً من منجز فاضل العزاوي يقول (تحفل هذه القصيدة، مثل أغلب قصائده بمستويات مختلفة من انساق التوازي والتكرار)[4] وهو هنا ينسى الجزئية التي عابها على من انتقدهم، ويجعلها بموضع الكلية، ويفرط بالتركيز عليها، إذ يقول: (يعتمد الشاعر في هذه المرحلة مجموعة من الأنساق والبنى والصيغ الأسلوبية منها الإفادة من انساق التوازي والتكرار بمختلف أنواعه)[5]، ويضيف السيد ثامر في نوع من الإصرار على التبذير اللغوي قائلاً: لا شك أن هذه الأنساق تغني البنية الإيقاعية للقصيدة كما أنها تكشف عن بنية دلالية من خلال التوكيد والتكرار)[6]؛ ومما لا شك فيه أن ناقداً كبيراً من مثل فاضل ثامر ما كان ليقع في مثل هذا، وليس له أن يقع، لولا حبه المفرط للظهور والبقاء في المشهد الثقافي، وهذا الحب تولد لديه مؤخراً، فصار يجمع مقالاته الصحفية في كتاب يجعله، جزافاً، ضمن منجزه النقدي، وهو ما حدث في كتابه "إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي، المثقف العراقي شاهداً "وكتابه المثير للحيرة" رهانات شعراء الحداثة "ومكمن الحيرة هو أن الكتابين لا يرتقيان لتجربة فاضل ثامر الرصينة لا سيما في كتابه (اللغة الثانية)؛ وإذا عدنا إلى "رهانات شعراء الحداثة" ووقفنا عند العنوان، نجده عنوانًا خائفاً جداً، بدلالة (الرهان) والرهان أصله للسباق، ولم يكن بين النماذج التي اختارها أي مشتركٍ ليجعلهم في سباق مع الآخر؛ والناقد جعلهم طرف رهان في سباق مع الآخر غير المتناول في الكتاب؛ ولنا أن نقف عند موضع آخر فيه من التبذير اللغوي الشيء الكثير، حيث يقول السيد فاضل ثامر في قراءته لتجربة الشاعر زعيم نصار، فيعتمد مقالاً صحفيا للشاعر مصدراً ليعزز به رأيه النقدي بتجربته!! وهو ما لم يفعله أي ناقد، فكيف ولماذا يستعين الناقد بمقال للشاعر ليعزز رأيه، فهو ينقل لنا رأيه بمقالة لزعيم نصار" الواقع الفائق للنسخة الشبيهة: قراءة في صور فوتوغرافية لجان بود دريار" ويجعلها سنداً مضيئاً لرأيه في تجربة زعيم نفسه!!: (وهذه المقالة تضيء فضاء التجربة الشعرية لهذا الديوان فلسفيا وفنيا إلى حد كبير)[7]، مقالة الشاعر تضيء للناقد تجربة الشاعر فلسفيا وفنيا!؛ ولعله كان من الأولى بالسيد فاضل ثامر أن يتناول المقالة نقدياً، أو يغض النظر عن تجربة الشاعر؛ لأن الشاعر سبق الناقد وكتب مقالة مضيئة لجوانب شعره، وإلا فما فائدة إثبات أن المطر ينزل من السماء على سبيل المثال!!.

٢.النقد والتوجيه السياسي

أسست بعض الحكومات العربية، لاسيما في العراق ومصر، مؤسسات ثقافية تدير بوصلة الأدب وتوجهه لخدمة السلطة؛ والسلطة بيدها الصحف والمجلات والتلفزيون، قبل انهيار الدكتاتورات وانتشار القنوات الفضائية، وهذه المؤسسات تحتاج إلى نقاد مضموني الولاء والطاعة للسلطة، وبعضهم لديه مناصب حكومية يديرون بوساطتها المشهد الثقافي.

لذلك شاع ما نسميه بالتوجيه السياسي للأدب، حيث يعمل الناقد موظفاً سلطوياً، يجيز هذا المبدع ويحجب ذاك، بحسب قرب مضمون نصه من دعم السلطة؛ ولقد وقع عدد غير قليل بإرادتهم التام في هذا الكمين؛ لأنه لا سبيل لهم إلى الشهرة إذا لم يضمنوا ودّ ورضا الناقد السلطوي.

فاذا وقفنا عند مبذر لغوي آخر خطير جداً، يكتب ما يشاء كيف شاء ويدرجه ضمن حقل النقد معتمدا على رصيده الإعلامي الذي أسهمت في صناعته المؤسسة السياسية، سنرى العجب؛ ذلك هو جابر عصفور [8]، وهذا جزء مما جاء في واحد من أهم كتبه التي صدرت مؤخراً، إذ يقول السيد عصفور: (لا أظن أن شاعراً من هؤلاء الشعراء كتب في عبد الناصر ما كتبه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، كمّاً وكيفاً، فقد كان شعر حجازي تجسيداً إبداعياً على مستوى الشعر للمشروع القومي الذي وصل به عبد الناصر إلى ذروته قبل العام السابع والستين) [9]، وهنا لنا أن نسأل الناقد عصفور، أين الشاعر من عبد الناصر؟ وهل كنت بصدد الشاعر أم بصدد عبد الناصر؟، ولنا أن نتابع معه قوله:

(ليظهر الإنسان فوق قمة المكان

ويفتح الكوى لصحبنا ...

ويمكن للقارئ أن يستنتج أن الإشارة إلى" صحبنا" الذين يفتح لهم عبد الناصر الكوى هم الذين ينتسبون إلى التيار القومي الذي تجسد في شعر الشاعر، كحلم الوحدة الذي تجسد في كلمات الزعيم، وسرعان ما تحقق بعد نشر القصيدة الوحدة بين مصر وسوريا بنحو عامين وذلك في ظل الانتصارات التي حققها البطل...)[10]؛ وهنا لنا أن نقترح لجابر عصفور، لا سيما أن كل ما جاء كتابه هو تكرار لما اقتبسناه، لنا أن نقترح عليه استبدال اسم كتابه، ويجعله(في محبة عبد الناصر) لا في محبة الشعر، وكذلك كتاب السيد فاضل ثامر له أن يسميه رهانات فاضل ثامر، لا رهانات شعراء الحداثة.

ولعل من أغرب مهازل التوجيه السياسي أنه طال التعليم العالي، فإذا بنا في مطلع ثمانينيات القرن الماضي أمام رسالة ماجستير مضحكة مبكية؛ عنوانها: (ملامح المنهج البعثي في الأدب)، لمصعب حسون الراوي، والأغرب من هذا كله، أن المشرف على الرسالة هو عميد كلية الآداب الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي؛ وهي رسالة الماجستير التي سارعت المؤسسة الثقافية لطباعتها في كتاب صدر عن وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون للثقافة والنشر؛ فهل ظنت المؤسسة الحكومية أن من حق كل حزب أن يبتكر منهجاً نقدياً للأدب!!، لقد انتهى هذيان هذا الكتاب مع انتهاء حقبة حكم هذا الحزب؛ وللقارئ الكريم أن يتخيل حجم التبذير اللغوي والوهم السلطوي الذي يحاول ترسيخه الباحث، فالكتاب ليس أكثر من كراسٍ حزبي فيه كل الألفاظ الحزبية والأفكار السلطوية، معززة بشواهد شعرية في مدح السلطة .

لقد فتح هذا الكتاب الموجِّه الباب على مصراعيه لكتبة النقد ومدعيه، ليمارسوا التبذير اللغوي إيهاماً للقارئ؛ فهذا "باقر جاسم" يزف لنا ما يسميه دراسةً نقدية بعنوان " الصورة الشعرية في شعر الحرب الغنائي" ونقتطع من دراسته هذه الأسطر (ولعل صور القتال هي ما يلفت الانتباه حقاً، فهي صور شعرية مركزة وجريئة، فلكي يصور أثر سقوط قذيفة مدفعية يقول: "قمعٌ من نارٍ وعجاج وجنود، يصعد كالشهقة" فأين عجز اللغة الشعرية المفترض؟)[11]، وليس لنا أن نفهم من قول الناقد: "صور شعرية مركزة وجريئة" غايةً نقدية فلا هو يتحدث عن معادلة كيميائية حتى نعرف درجة التركيز، ولا هو بصدد نص غزلي فيه إيحاءات تشي بالجرأة، هل جرأة هذه الكلمات أشد من جرأة القذائف على قتل الناس؟ ليس هناك سوى هدر لغوي مفرط؛ وهو إذ يستطرد في دراسته، يقول لنا: ("وقذائفنا وقذائفهم، مشط يشبك مشطا"، دلالة التداخل بين عناصر الصورة العنيفة التي تحيل إلى ما هو مدمر إلى خبرة مألوفة سليمة)[12]، وقد احترت بـ "خبرة مألوفة سليمة" وعلاقتها بالسطر الشعري، وكيف تمكنت عناصر الصورة العنيفة من إحالة الدمار إلى خبرة مألوفة وسليمة؛ ولا أعرف سبباً لوجود واو العطف بين "مألوفة وسليمة"، فهو يحدثنا عن خبرة لا خبرتين، لكنه أجاد الهدر اللغوي بامتياز، أهّله ما يسميه دراسة نقدية للنشر في عدد خاص من مجلة الأقلام بـ (بيان البيانات) وهو يوم انتهاء الحرب العراقية الإيرانية.

ومثل ذلك قول معين جعفر محمد: (إن موضوع هذه القصيدة مستمدٌ من الحرب المقدسة التي لم تكن بالنسبة لنا – نحن العراقيين – هدفاً منشوداً بل واقعاً مفروضاً، لم يدع لنا خياراً ثالثاً بين أن

نكون أو لا نكون)[13]، وعلى الرغم من أن الكاتب نصب "واقعاً مفروضاً" من دون أي مسوغ، فإن هذا الكلام لو ورد في نشرة الأخبار سيجد مكانه الصحيح؛ لأنه خطاب سلطوي لا يمت للنقد الأدبي بأية صلة، فكيف لو عرف القارئ الكريم أن هذا الكلام في نقد قصيدة عبد الرزاق عبد الوحد "هو الذي رأى"!!.

٣.النقد التجاري

تنماز هذه المجموعة الشعرية بانثيالات عدة، وانزياحات غير مسبوقة، وصور بلاغية رائعة، يكاد القارئ أن يقول: (كنت أنوي أقول ذلك) وهو ما يصطلح عليه بالسهل الممتنع، وميزة انه ممتنع لأنه ليس لأي شاعر أن يتمكن منه ومن إجادته؛ وهي مجموعة شعرية تضم قصائد رائعة متماسكة البناء، وبليغة المعاني، فالمعاني فيها ليس من قول الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق)؛ بل هي معان تحمل من الجدة والنبوغ ما يدل على تمكن الشاعر تفجير اللغة ليأتي بمعاني غير مسبوقة.

بمثل هذا الكلام المرصوف نجد مئات المقالات والدراسات النقدية؛ والآن وبعد أن استشرت هذه الظاهرة وصارت ظاهرة تجارية لها دكاكينها، أود التركيز على النقد الأدبي المدفوع الثمن؛ فلقد ملأ النقاد التجاريون الوسط الأدبي بأسماء شعرية ما أنزل الإبداع بها من سلطان.

مثلما صارت لأطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير دكاكين شهيرة وصفحات ممولة في الفيسبوك، تعلن عن استعدادها كتابة الأطروحة أو الرسالة للطالب مقابل مبلغ من المال، يتم الاتفاق عليه، وهي ظاهرة أسهمت في إشاعة الأمية الأكاديمية إلى أبعد حد، أقول: مثلما انتشرت هذه الظاهرة، استجدت ظاهرة خطيرة جداً، هي كتابة مقال نقدي أو ربما كتاب كامل، مقابل ثمن يدفعه متشاعر يريد الشهرة والاتكاء على اسم الناقد التجاري.

إن هذه الظاهرة الخطيرة أسهمت في جعل أصحابها لهم أعمدة ثابتة في صحف محلية وعربية، وصار لهم حضور تلفزيوني، وصارت دعوتهم (التي هي أيضا مدفوعة الثمن) إلى مهرجانات خارج البلاد تنظمها دكاكين عربية غير رسمية، على أن يتحمل المتشاعر تكاليف السفر، فيعود بعدها محملاً بلوحٍ زجاجي وشهادة من الورق (المقوّى) وفيها أسمى عبارات التبجيل، من مثل الشاعر الكبير والمبدع وما إلى ذلك.

إنها آفة خطيرة تنخر جسد الإبداع الحقيقي وتشوه صورة الأدب الحقيقي، لكن الأخطر منها هو ما تقوم به بعض المؤسسات الغنية مالياً لتجعل الشعر أثاثاً أو ديكورا أو علبة مكياج، تجمل وجه هذه المؤسسة أو تلك؛ فشاع النقد الشفاهي الإرتجالي وعشنا عصر "الردة " الشعرية بعد أن كنا نتطلع للحداثة وما بعد الحداثة.

في مسابقة أمير الشعراء، على سبيل المثال لا الحصر، صرنا نرى الناقد موظفاً في المؤسسة الراعية للمسابقة؛ فهو يرتجل متى يشاء وكيف يشاء جملاً نقدية انطباعية، غير منهجية، وكأنه شاعر قصيدة عمودية؛ ولأن المسابقة للشعر العمودي صار الناقد ينافس الشاعر على الارتجال، فهذا يرتجل القصيدة، وهذا يرتجل مقالاً نقدياً، فيه من التبذير النقدي الشيء الكثير.

سأقف عند قصيدتين في هذا الموسم، وهما للشاعر العراقي سراج محمد، والشاعرة العراقية زينب جبار؛ أما سراج محمد فقد قرأ قصيدة بعنوان (السيرة الذاتية للعدم)[14] وقال فيها:

أنا جدلٌ ومشكلةٌ وحلُ
وشك لا يبرهن أو يدلُ
ونافذة تخلى النور عنها
ووحدي عبر عتمتها أطلُ

فما كان من صلاح فضل إلا أن يقول: عجيب... عجيب أيها السراج الذي يضيء بالشعر، اللفتة لافتة، واللمحة مجسدة، وأحسب أن القصيدة تستحق أن تقرأ وتستحق أن تجاز.

أما علي بن تميم فقد ذهب إلى أن العدم هو ما حدث للعراق! بقوله:(فالعدم عند سراج هو ما حدث لبلاده).

وإذا وقفنا عند رأي صلاح فضل، نجده خاطب سراج محمد بالسراج المضيء بالمضيء بالشعر؛ ثم قال: اللفتة لافتة، واللمحة مجسدة؛ فهل هذا هو النقد؟ ألا يعد هذا انطباعا شفاهيا مرتجلاً فيه من التبذير اللغوي الشيء الكثير؟

أما علي بن تميم فقد ذهب باتجاه السياسة وكأن سراج محمد طلب اللجوء ولم يعد للعراق! وهو كلام ليس فيه من الفنية شيء يذكر.

وإذا ناقشنا قصيدة زينب جبار ورأي النقاد في أحد أبيات قصيدتها "مورد لإحدى ظباء مكة":[15]

وأرضَ الحكايات من ولادة وكفى

فالشهرزادات ليست بنت مستكفي

وعلى الرغم من أن (الشهرزادات) جمع مؤنث سالم، لكنّ الشاعرة قالت: ليست بنت مستكفي! لم يعترض أحد النقاد من لجنة التحكيم؛ بل عدّوا هذا البيت هو الأجمل لا لشيء سوى لمضمر ما في دواخلهم؛ فشهرزاد عراقية وزينب عراقية، لكن الشاعرة تأرجحت بين الحديث عن ظباء مكة وبين المقارنة بين ولادة الشاعرة وبين شهرزاد التي لا علاقة لها بالشعر؛ ثم مالت إلى "ولادة" بنسق مضمر له أكثر من تأويل.

وحين جاء دور النقد ليبدي رأيه، قال صلاح فضل: (تضمخين شعرك بعذوبة الإنشاد كأنك تغنين الأبيات ولا تلقينها إلقاءً عادياً ،تغنين قصيدتك بأنها صورة لإحدى ظباء مكة، تضفين على التاريخ شيئا من سحر الأسطورة، حيث تبدو شاعريتك متوهجة في هذه القطعة... تستحضرين نموذجين من إبداع المرأة الأميرة والراوية الضحية الفقيرة، ولادة وشهرزاد ،أبلغ ما نراه في قصيدتك من تعبيرات تجيدين حوكها بإتقان هي منظومة الكنايات) [16]، وقد اقتطعنا من كلام صلاح فضل هذه الكلمات؛ لأن حديثه يطول بالرتابة نفسها، وهو لا يدخر جهدا في التبذير اللغوي، وكيل المديح للشاعرة، غاضاً النظر عن الارتباك اللغوي في بيت (الشهرزادات...)؛ بل يبدو أن الأمر التبس على صلاح فضل، فلم يفرق بين العنوان ظباء مكة، وبين ولادة بنت المستكفي، فما علاقة ولادة بظباء مكة؛ لأن المقارنة حدثت بين جمعٍ الشهرزادات وولادة واحدة! ولا شيء عن ظباء مكة سوى عنوان القصيدة، ولم يسأل الناقد عن أيهن أقرب تاريخيا للشاعرة، ظباء مكة أم ولادة، أم شهرزاد العراقية؟ فالشاعرة عراقية، والناقد مارس نسق الإيهام النقدي وأهدر كثيرا من اللغة ليمدح إلقاء الشاعرة أكثر من قصيدتها، متناسيا أن السياب نفسه لا يملك إلقاءً جيداً ونحن في عصر الإلكترونيات لنا أن نتساءل هل سمعنا إلقاء المتنبي واشتهر شعره وأعجبنا بسبب إلقائه؟

الشاعرة التي تضفي على التاريخ شيئاً من سحر الأسطورة، بحسب صلاح فضل، نسفت تاريخ بلادها وتاريخ أعظم حضارة في العصر العباسي، فهي تقول:

ودعك عن غيرتي ماذا يشدك في

طول الليالي وقد زادت على الألف

فأين السحر الذي أضفته الشاعرة على التاريخ، عندما قللت من أهمية تراث بلادها؟

الخاتمة

ليس للتبذير أن ينتهي، ولا للإيهام أن يقف عند حد، لكن كل شيء محكوم بقدر وقوانين، وما يحكم هذا البحث، وأعني عدد الصفحات، أجبر الباحث أن يريح ركابه في محطة الخاتمة.

قلت ليس لنسق الإيهام أن ينتهي، لأنه قديم جديد؛ وعلى قول محمد مهدي الجواهري:

وقائلةٍ أما لك من جديدٍ

أقول لها القديم هو الجديد !

وذلك قد يصدق في الشعر الى حد ما، وأحسب أن جديد هذا البحث أنه خاض في المسكوت عنه، وتناول أسماء نقدية كبيرة، ممارسا عليها " نقد النقد " وكشف المضمر القابع خلف الخطاب النقدي، وأسباب التبذير اللغوي، والإغراء بالمال والجاه، ودور المؤسسة الحكومية، والتوجيه السياسي؛ وكل الأساليب التي راح ضحيتها الإبداع الشعر الخاضع لنسق الإيهام النقدي.

وبعد هذه الرحلة، لابد من الوصول الى النتائج، وهي :

١. رصد البحث بعضاً من نماذج التبذير اللغوي ، ووقف عند اسبابها، وناقشها.
٢. كشف البحث مواطن الإيهام النقدي وأسباب شيوعه الذاتية والسلطوية .
٣. ناقش البحث بعض الدراسات النقدية التي اهتمت بالسلطة والسياسة وتركت النص الشعري.
٤. حاول البحث الدخول الى منفعية التبذير اللغوي، ووقف عند النقد التجاري، والناقد الأدبي بصفته تابعاً مقاداً يعمل على توجيه الشعر لما تريده المؤسسة الراعية.
٥. كان للبحث أن يناقش النقد المرتجل المشوب بالانطباع السريع والتبذير اللغوي الفاضح؛ وهو ما وجدناه في مسابقة أمير الشعراء حيث ناقشنا نموذجين لشاعر وشاعرة من العراق، وكيف كان التعامل النقدي مع قصيدتيهما.

ختاما أقول: ليس للبحث إلا ما سعى؛ ولو كان المجال يتسع لصار لهذا البحث أن يمتد ويصبح كتابا.

الهوامش:

---

[1]) الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي عند العرب في العصر العباسي ، ا.د سعيد عدنان ، دار تموز _ دمشق ، ط١ ٢٠١١ : ١١

[2]) إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي، المثقف العراقي شاهدا، فاضل ثانمر ، دار آراس للطباعة والنشر ، العراق _ اربيل ، ط١ ٢٠١١ :

[3]) السابق : ٣٣٠

[4]) رهانات شعراء الحداثة، فاضل ثامر ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، ط١ ، ٢٠١٩ :: ٦٩

[5]) السابق : ٧٠

[6]) نفسه

[7]) السابق : ٤٢٥

[8])مما يقشعر له بدن الأمانة العلمية ، هو ذلك الإهداء الفاضح للسرقة ؛ فقد كتب الأستاذ الدكتور سعيد عدنان في صفحته الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعي :

(تيّارات نقديّة محدثة

اختيار وترجمة وتقديم

جابر عصفور

المركز القوميّ للترجمة

الطبعة الثانية ٢٠٠٩

إهداء

إلى تلامذتي الذين أدين لهم بنشر هذه الترجمة

عُرف جابر عصفور بغزارة الكتابة، وبقيادة المجلس الوطنيّ للثقافة والآداب والفنون قيادة ناجحة، وبعده بقيادة المركز القوميّ للترجمة نحو ترجمة مئات من الكتب النفيسة من شتّى اللغات. وهذا كتاب آخر نفيس، ترجم فيه جملة بحوث رصينة في النقد الاجتماعيّ، والنقد البنيويّ، وما بعد البنيويّة.

وكلّ أبحاثه ممّا ينفع القارئ، ويهيّئ له معرفة صحيحة بهذه الاتجاهات النقديّة.

لكنّ صاحبي، بعد أن قرأ الكتاب، عاد ونظر في الإهداء، وقلّب فيه النظر وتساءل مع نفسه : ما هذا الدين الذي يدين به جابر عصفور لتلامذته ؟ ومن هم هؤلاء التلاميذ، وقد درّس في حياته الجامعيّة آلافاً، في مصر وفي غيرها؟

قرأ الإهداء مرّات وساوره ما لا يحسن الجهر به ...!)

[9]) في محبة الشعر، جابر عصفور، الدار المصرية اللبنانية، ط١ القاهرة ٢٠٠٩ : ١٥٣

[10]) السابق : ١٥٥

[11]) الأقلام، مجلة تعنى بالأدب الحديث، السنة الرابعة والعشرون، دار الشؤون الثقافية العامة، آب – ١٩٨٠: ١٠

[12]) نفسه .

[13]) السابق : ٢٠

[14])https://www.youtube.com/watch?v=w9ET4YPhghI

[15])https://www.youtube.com/watch?v=ylwBHNsyU8E

[16]) نفسه .

المصادر:

- الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير ، النادي الأدبي بجدة ، ١٩٨٥ م.
- ثامر، فاضل، إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي، المثقف العراقي شاهداً، دار آراس للطباعة والنشر ، العراق _ اربيل ، ط١، ٢٠١١ م.
- ثامر، فاضل، رهانات شعراء الحداثة، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، ط١ ، ٢٠١٩ م.
- عدنان، سعيد، الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي عند العرب في العصر العباسي ، دار تموز _ دمشق، ط١، ٢٠١١ م.
- عدنان، سعيد، صفحته الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعي.
- عصفور، جابر، نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٤ م.
- عصفور ، جابر، في محبة الشعر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١ القاهرة ٢٠٠٩ م.

الدوريات والمجلات:

- الأقلام، مجلة تعنى بالأدب الحديث، السنة الرابعة والعشرون، دار الشؤون الثقافية العامة، آب – ١٩٨٠: ١٠.

المواقع الاليكترونية:

https://www.alarabiya.net/politics/2019/09/11/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AE%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9

https://www.youtube.com/watch?v=w9ET4YPhghI

https://www.youtube.com/watch?v=ylwBHNsyU8E